مقاصد الحج الأخلاقية

د. محمد عبد الباقي أحمد قريب[١]

ملخص الدراسة

تناولت الدراسة الأخلاق التي يكتسبها الحاج في حجه ويتدرب عليها لتكون له نبراساً في حياته ، وزاداً لمعاده ، وذخراً لآخرته ، كما هدفت هذه الدراسة لتوضيح الجانب الأخلاقي المكتسب من حج بيت الله الحرام ، واتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في جمع هذه المادة، ومن نتائج هذه الدراسة ، أنّ الحجّ عبارة عن ورشة مكثفة للتدريب على الشحن الروحي والتعبئة على السلم ، وتحقيق الأخوة الإيمانية ، وتحقيق مبدأ المساواة بين الناس ، وتربية الضمير والتعارف والتآلف ، وتحقيق مبدأ السلم والمسالمة ، كما أنه يعلمنا السعي لتحقيق السلام العالمي.

Abstract

The study dealt with the morals that pilgrim acquires in his pilgrimage and trains them to be a beacon in his/her life and with great value in the hereafter. Moreover, this study aimed to clarify the moral aspect acquired from the pilgrimage to the sanctified house of Allah, the study followed the descriptive analytical approach in collecting this information. The results of this study showed that, pilgrimage is an intensive workshop for training in spiritual filling and mobilization to Peace and achieving brotherhood of faith, achieving equality principle between people, raising conscience, acquaintance, harmony, achieving the principle of peace and conciliation, as it teaches us to strive to achieve world peace.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين جعل الأخلاق قوام المجتمع الراقي وأساسه الفاضل فأمرنا بحسن الخلق فقال تعالي (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف الآية ١٩٩).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو علي كل شيء قدير ،جعل الغاية من رحلة الحج تهذيبا للأخلاق وتقويم للسلوك وتربية

---

(١) أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية – جامعة شندي – السودان.

للضمائر، فقال تعالي: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)(البقرة الآية١٩٧). وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم .حدد الغاية الأولي من بعثته والمنهاج القويم في دعوته فقال صلي الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فالهم صل علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أهداف الدراسة :

هدفت الدراسة لتوضيح ما يتعلق بالحج من المقاصد الأخلاقية والتربوية .

أهمية الدراسة :

تناولت الجانب الأخلاقي من حج بيت الله الحرام، وما اشتمل عليه من مقاصد سامية وأخلاق كريمة، وتربية شاملة.

مشكلة الدراسة :

تكمن في قلة معرفة الناس لما يدور في هذا الركن العظيم من المقاصد العظيمة والتربية الأخلاقية النبيلة.

سبب اختيار الدراسة :

رغبتي في توضيح ما يتعلق بحج بيت الله الحرام من مقاصد وأخلاق تربوية.

منهج الدراسة :

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

هيكل البحث:

يشتمل هذا البحث على خمسة مباحث :

المبحث الأول: في تعريف المقاصد، والحج ، والأخلاق.

المبحث الثاني: أخلاق الحاج مع ربه سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث: أخلاق الحاج مع نفسه.

المبحث الرّابع: أخلاق الحاج مع الناس.

المبحث الخامس: أخلاق الحاج مع الكون من حوله.

المبحث الأول

في تعريف المقاصد ،والحج ، والأخلاق

أولاً: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً:

١/ تعريف المقاصد لغة:

المقاصد جمع مقصد، وهي مشتقة من الفعل قصد، وكلمة المقاصد عند أهل اللغة العربية بمعان عديدة، من هذه المعاني:

أ. استقامة الطريق: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ [النحل: ٩].

ب. العدل والوسط بين الطرفين: وهو ما بين الإفراط والتفريط، والعدل والجَور، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ [فاطر: ٣٢].

ج. الاعتماد والاعتزام وطلب الشيء وإثباته: تقول: (قصدت الشيء، وله، وإليه قصدًا من باب ضرب، طلبته بعينه)[١].

٢/ تعريف المقاصد اصطلاحًا:

لم يكن لها مصطلح خاص بها عند قدماء الأصوليين، ولكن عبروا عنها بألفاظ مثل: الأمور بمقاصدها، مراد الشارع، أسرار الشريعة، الاستصلاح، رفع الحرج والضيق، العلل الجزئية للأحكام الفقهية...إلخ. أما تعريفها عند الفقهاء المعاصرين فجاءت بتعريفات متقاربة، من أهم هذه التعريفات:

أ. تعريف ابن عاشور: هي مقاصد التشريع العامة، هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها[٢].

ب. تعريف علال الفاسي: المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها[٣].

ج. تعريف أحمد الريسوني: هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد[٤].

---

(١)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت الجزء الثاني ص ٥٠٤

(٢)نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: أحمد الريسوني الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي الطبعة: الثانية - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م ص ٦

(٣)علم المقاصد الشرعية: نور الدين بن مختار الخادمي الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.ص ١٦

(٤)علم المقاصد الشرعية ص ١

د. تعريف الخادمي: هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكمًا جزئيًّا أم مصلحة كلية، أم سمات جمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو: تقدير عبودية الله، ومصلحة الإنسان في الدارين[١]

وخلاصة هذه التعاريف أن معنى المقاصد الشرعية عند علماء المقاصد يدور حول الغايات والأهداف والمآلات التي قصدها واضع الشرع الحكيم لتحقيق سعادة الإنسان ومصلحته في الدارين الدنيا والآخرة.

ثانياً: تعريف الحج لغة واصطلاحاً:

الحج لغة: الحجُّ في اللغة من الجذر اللغوي حجج، فالحاء والجيم جذْر دالٌ على أربعة أصولٍ هي:(القصد، والسّنة،والحِجاجُ ،والحَجحَجة)والأصل الأول هو المراد هنا.

الأصل الأول :الحج لغة القصد،[٢] ومنه حج بيت الله الحرام؛ أي قصده بالزِّيارة.

الأصل الثاني :السّنَة، فالحِجّة بالكسر السّنَة،[٣] منه قول الله تعالى على لسان والد الفتاتين لنبي الله موسى - عليه السّلام- : (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ)(القصص الآية ٢٧) وقيل أنّ هذا الأصل راجعٌ للأصل الأول، لأنّ الحج لا يكون إلا مرّةً في السّنة.

الأصل الثالث :الحِجَاجُ؛ وهو العَظمُ المستدير حول العينين.[٤]

الأصل الرابع :الحَجحَجة؛ النُّكوص.[٥]

---

(١)مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص ١٧

(٢)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م الجزء الأول ، ص ٣٠٣

(٣)جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م الجزء الأول ص ٥٨٣ والمحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م الجزء الثاني ، ص ٤٨٢

(٤)تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م الجزء الثالث ، ص ٢٥١

(٥)معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.الجزء الثاني، ص ٣١

الحجُّ اصطلاحاً: المراد به العبادة المعروفة، قصد بيت الله الحرام لأداء النسك الأعظم الذي هو الفريضة[١]

وعرفه ابْنُ عَرَفَةَ فقال: يُمْكِنُ رَسْمُهُ(أي تعريفه) بِأَنَّهُ عِبَادَةٌ يَلْزَمُهَا وُقُوفٌ بِعَرَفَةَ لَيْلَةَ عَاشِرِ ذِي الْحِجَّةِ وَحَدُّهُ بِزِيَارَةٍ وَطَوَافِ ذِي طُهْرٍ أَخَصُّ بِالْبَيْتِ عَنْ يَسَارِهِ سَبْعًا بَعْدَ فَجْرِ يَوْمِ النَّحْرِ وَالسَّعْيِ مِنْ الصَّفَا إلَى الْمَرْوَةِ وَمِنْهَا إلَيْهِ سَبْعًا بَعْدَ طَوَافٍ لَا بِقَيْدِ وَقْتِهِ بِإِحْرَامٍ فِي الْجَمِيعِ[٢]

وعرف (حج البيت) بفتح الحاء وكسرها أي قصد بيت الله الحرام وسائر المشاعر العظام (لمن استطاع إليه سبيلاً) بالزاد والراحلة ذهاباً وإياباً[٣]

وعرف (الْحَجِّ) أي قصد بيت الله الحرام للعبادة المخصوصة [٤]

ملخص التعريفات للحجّ من حيث الاصطلاح، يدور حول قصد بيت الله الحرام وجبل عرفة في أشهرٍ معلوماتٍ للقيام بأعمالٍ مخصوصةٍ، وهذه الأعمال هي: الوقوف بعرفة، والطَّواف ببيت الله الحرام، والسّعي بين الصفا والمروة، وذلك وفق شروطٍ وهيئةٍ مخصوصةٍ، وقد جاء في قول الله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة الآية ١٩٧).

ثالثاً: تعريف الأخلاق من حيث اللغة والاصطلاح:

---

(١)شرح كتاب الحج من صحيح مسلم مؤلف الأصل: الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير الجزء الأول ،ص ١٢

(٢)الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني : أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ) الناشر: دار الفكر الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م الجزء الأول ،ص ٣٥٠

(٣)شرح مسند أبي حنيفة : علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) المحقق: الشيخ خليل محيي الدين الميس الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ،ص ٣٢٩

(٤)شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى». : محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي الناشر: دار المعراج الدولية للنشر [جـ ١ - ٥]- دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ ٦ - ٤٠] الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م الجزء السابع والثلاثون ، ص ٢٧٢

تعريف الأخلاق لغة: الخُلُق في لغة العرب: هو الطَّبْع والسجيَّة، وقيل: المروءة والدِّين، قال العلامة ابن فارس: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء.

فأما الأول، فقولهم: خَلَقتُ الأديمَ للسقاء، إذا قدَّرتَه، قال:

لم يَحْشِم الخالقاتِ فَرْيُتُها ❖❖❖ولم يَغِض من نِطافها السَّرَبُ [١]

وقال زهير:

ولأنت تفري ما خلقتَ وبع ❖❖❖ضُ القوم يخلُقُ ثم لا يَفري

ومن ذلك: الخُلُق وهي السجية؛ لأن صاحبه قد قُدِّر عليه"[٢].

وقال الفيروز آبادي: "الخُلق: بالضمِّ، وبضمتين: السجية والطَّبع، والمروءة والدين"[٣].

وقال ابن منظور:الخُلُق: الخليقة؛ أعني: الطبيعة، وفي التنزيل:(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤) والجمع: أخلاق، لا يُكسَّر على غير ذلك.

وقال يضاً:والخُلْق والخُلُق: السَّجيَّة - يقال: خالِصِ المؤمن وخالِقِ الفاجر، وفي الحديث: (مَا مِنْ شَيءٍ فِي الِميزانِ أَثْقَلُ مِن حُسْنَ الخُلُقِ). [٤] والخُلُق: بضم اللام وسكونها، وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصَّة بها، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب يتعلَّقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثرَ مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة؛ [٥]

---

(١)معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م الجزء الثاني ص٢١٣

(٢)الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) الناشر: دار الحديث، القاهرة عام النشر: ١٤٢٣ هـ الجزء الأول ، ص ١٣٩

(٣)القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: ٨١٧هـ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م الجزء الأوّل ، ص ٨٨١

(٤)الأدب المفرد بالتعليقات: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م رقم الحديث ٢٧٠ ، ص١٤٢

(٥)لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ الجزء العاشر ، ص ٨٦

ولهذا تكرَّرت الأحاديث في مَدْح حُسْن الخُلُق في غير موضعٍ" مثل قوله صلى الله عليه وسلم (إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَشْبَهَ الْمُؤْمِنِينَ بِي أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) [١]

دلالة الخلق في نصوص الشرع:عندما نتأمل في نصوص الشريعة نجد أن الاستخدامَ الشرعي للفظ "الخُلُق"، لم يختلف كثيرًا عن الوضع اللغوي لهذه الكلمة. فقد جاءت كلمة الخُلُق في القرآن في موضعين:

الأول: قوله تعالى على لسان قوم هود: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٧].

إِنْ هذا أي ما هذا الذي نحن عليه إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ أي عادتهم. كانوا يدينون به ويعتقدونه. فنحن بهم مقتدون. أو ما هذا الذي جئتنا به إلا عادة الأولين.كانوا يلقفون مثله[٢] فخُلُق الأولين هنا بمعنى دِينهم وعادتهم وأخلاقهم .

الثاني: قوله تعالى مخاطبًا سيد الخَلْق محمدًا صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].قال الطبري: "يقول تعالى لنبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد، لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدَّبه به، وهو الإسلام وشرائعه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.ثم نقَل عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك قولهم في تفسير: ﴿ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾؛ أي: دين عظيم، وهو الإسلام[٣]

أما في السُّنَّة المطهَّرة، فقد استخدمت لفظة الخُلُق في دلالات متعددة: ومنها قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خُلُق الرسول صلى الله عليه وسلم؟فقالت:(كان خُلُقه القرآن) [٤]

ومنه: قوله صلى الله عليه وسلم:(البِرُّ حُسْن الخُلُق) [١] .ومنه: قوله صلى الله عليه وسلم:(أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا) [٢] وهذه المعاني في حقيقتها لا تُخالِف الوضعَ

---

(١)الجامع في الحديث لابن وهب: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ) المحقق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين – القاهرة الناشر: دار ابن الجوزي – الرياض الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م رقم الحديث ٤٩٣ ،ص ٥٩٣

(٢)محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ الجزء السابع ص٤٦٨

(٣)جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م الجزء الثالث والعشرون ، ص٥٢٨

(٤)مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م رقم الحديث ٢٥٨١٣ الجزء الثالث والأربعون ، ص ١٥

اللُّغوي لكلمة الخُلُق، وإن صُبِغت بمعنى شرعي حين يعبِّر حُسْن الخُلُق عن الالتزام بالآداب الشرعية الصادرة عن الأحكام القرآنية والتعاليم النبوية خاصة.

الأخلاق في الاصطلاح:تُطلَق الأخلاق باعتبارين: أحدهما عام، والآخر أخص منه:

فمن العام ما ذكره حجة الإسلام الغزالي والعلامة طاهر ابن عاشور،رحمهما الله تعالى، حيث عرَّفه الغزالي بقوله: "الخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تَصدُر الأفعال بسهولة ويُسرٍ من غير حاجة إلى فِكْر ورويَّة"(٣).

وعرفه الطاهر بن عاشور: "خُلُق بضمتين: فهو السجيَّة المتمكِّنة في النَّفْس، باعثة على عمل يُناسِبها من خير أو شر، وقد فسِّر بالقوى النفسية، وهو تفسير قاصر، فيشمل طبائع الخير وطبائع الشر؛ ولذلك لا يعرف أحد النوعين من اللفظ إلا بقيد يُضَم إليه فيقال: خُلق حسن، ويقال في ضده: سوء الخُلُق، أو خُلُق ذميم، فإذا أُطلِق عن التقييد انصرف إلى الخُلُق الحسن" ثم قال: "والخُلُق في اصطلاح الحكماء: مَلَكة؛ أي: كيفية راسخة في النفس؛ أي: متمكِّنة في الفِكْر، تَصدُر بها عن النفس أفعالُ صاحبها بدون تأمُّل. (٤).

وخلاصة هذه التعريفات،أنّ الأخلاق عبارة عن هيئة ثابتة راسخة مُستقِرة في نفْس الإنسان غير عارضة طارئة، فهي تُمثِّل عادة لصاحبها تتكرَّر كلما حانت فرصتها، فإن كان الصفة عارضة فليست جديرة بأن تُسمَّى خُلُقًا، فمَن بذل المال مرة أو مرتين لا يقال: إنه كريم سخي، كما ينبغي عدم التكلف في صدور الفعل بحيث يَصدُر بشكل تلقائي من غير تردُّد وبصورة عَفْوية، لا تخضع للحساب والمراجعة وتقليب الرأي وإعمال الفِكر.

المبحث الثاني

---

(١)المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون تاريخ طبع رقم الحديث ٢٥٥٣ الجزء الرابع ، ص١٩٨٠

(٢)الجامع في الحديث لابن وهب: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ) المحقق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين – القاهرة الناشر: دار ابن الجوزي – الرياض الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م رقم الحديث ٤٨٣ ،ص ٥٨٤

(٣)إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت بدون تاريخ طبع الجزء الثالث، ص ٥٣

(٤)التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر: ١٩٨٤ هـ الجزء التاسع عشر ،ص ١٧١

أخلاق الحاج مع ربه سبحانه وتعالى

تحدثت عن الأخلاق وأثبت أنها سجية تطلق على الأخلاق الحسنة والسيئة ، أمّا ما يختص في عبادة الحج فإن الحاج ملزم بالتقيد بالأخلاق الحسنة وإن كانت على عكس سجيته فيتدرب عليها.

والأخلاق التي ينبغي أن يتخلق بها لحاج مع ربه سبحانه وتعالى، كثيرة ولكني أشير إلى بعض منها:

أولاً : الإخلاص لله تعالى:

على الحاج أن يكون باعثه على أداء فريضة الجح هو طلب مرضات اللّه تعالى وابتغاء الأجر والمثوبة منه سبحانه، وأن يحذر الرياء،وطلب الشهرة التي يؤدي إبطال العمل قال تعالى (وأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)(البقرة الآية١٩٦) وقال عز وجل: في ثنايا آيات الحج(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) (الحج الآية ٣٠) وفي التلبية وهي شعار الحج ،جاء إفراد اللّه بهذا النسك صريحا(لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك) وألا يكون في نفسه شيء من حظوظ الدنيا لأن اللّه تعالى يقول في الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه) [(١)] والنبي صلى اللّه عليه وسلم، حج حجة واحدة، قال فيها :اللهم حجّة لا رياء فيها ولا سمعة[(٢)]

ثانياً : تجديد التوبة إلى الله تعالى :

تجديد التوبة مطلوب من الحاج لأنه مقبل على مرحلة جديدة من حياته،فينبغي عليه أن يبدأ صفحة جديدة مع ربه سبحانه وتعالى، فيرد المظالم إلى أصحابها،ويتوب إلى اللّه تعالى(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا)(التحريم الآية٨)

ثالثاً : تعظيم شعائر الله تعالى :

---

(١)المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت رقم الحديث٢٩٨٥الجزء الرابع ،ص٢٢٨٩

(٢)سنن ابن ماجه : ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد اللّه محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز اللّه الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م رقم الحديث٢٨٩٠ الجزء الرابع ،ص١٣٨

إن في تعظيم شعائر الله دليل على تقوى القلب لله قال تعالى (ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج الآية٣٢)

رابعاً: التذلل والإنكسار لله تعالى :

قال تعالى : (وإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ)(الحج الآية٣٤)

خامساً : التزود من التقوى:

ينبغي الحاج الحرص على التزود من تقوى الله، لقوله تعالى:(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (سورة البقرة: ١٩٧) والتقوى هي العمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله، والحذر من معصية الله، على نور من الله يخشى عقاب الله.(١)

وخلاصة هذا القول : فإن على حاج بيت الله الحرام إصحاح النية وتجديد التوبة إلى الله تعالى والتذلل والانكسار له سبحانه وعليه أن يتزود من التقوى التي تقربه من الله عز وجل .

المبحث الثالث

أخلاق الحاج مع نفسه

أولاً: المداومة على العبادة :

من أبرز ما يكتسبه الحاج من حجه الدوام في العبادة بعد الحج وهو علامة على قبول العمل كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن أحب العمل إلى الله قال :(إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ) (٢)فالحاج من خلال حجه يتنقل من عبادة إلى عبادة فما أن تنتهي عبادة إلا وتبدأ عبادة أخرى. وبهذا تتربى النفس على العبادة وعلى التنقل بين العبادات تقرباً إلى الله وأنساً به فتنقلب العادات إلى عبادات وبذا يتحقق مقصد وحكمة خلق الله للأنس والجن كما قال تعالى{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات الآية٥٦) .

---

(١)فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب: لمحمد نصر الدين محمد عويضة الجزء الخامس ص٩ و دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ - موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار : شحاتة محمد صقر الناشر: دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث، البحيرة (مصر) ،ص١٨٩

(٢)مسند إسحاق بن راهويه : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (المتوفى: ٢٣٨هـ) المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤١٢ – ١٩٩١م رقم الحديث ٦٢٦ الجزء الثاني ،ص ١٤٠

ثانيا: اعتياد النظام :

حينما يكثر عدد الحجيج في مكان واحد يتجلى لنا ذلك المقصد بكل أبعاده وتظهر لنا حقيقة وحكمة أن يتربى أهل الإسلام خصوصاً على اعتياد النظام في حياتهم . فالطواف حول الكعبة مع شدة الزحام,وتقبيل الحجر الأسود وكثرة من يقصد تقبيله لا يستطيع أن يتقدم أحد على من كان قبله وكذا رمي الجمرات واصطفاف الحجاج أفواجاً بسير واحد وجهة واحدة ومرمى واحد بترتيب ونظام, كل ذلك من أكبر الوسائل على تربية المسلم ليكون في نفسه حب النظام.

ثالثاً: تعويد النفس على الخشونة وصعوبة العيش :

فالحاج يحرم نفسه كثير من الترف الذي كان قد اعتاد عليه قبل إحرامه ويحرم نفسه من مباحات كان يتمتع بها قبل أن يهل بحجه ,مثل الطيب وحلق الشعر والصيد وغيرها من محظورات الإحرام ليعود المسلم نفسه على الصبر على شظف العيش وشدته. كما أن كثرة العدد في مكان مزدحم ضيق والتنقل بين المشاعر مع البعد والمشقة كل ذلك لتعويد النفس على تحمل الصعوبات. ولأجل أن يتذكر المسلم أولئك الذين يعيشون في شظف وضيق وشدة من العيش وفي حاجة ماسة للطعام والشراب والكساء,مما يجعله يغرس في نفسه حقيقة دعانا الرسول صلى الله عليه وسلم إليها بقوله :(لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ [1] فيعيش للآخرين لا لنفسه فحسب .

رابعا: اعتياد الذكر. :

إن من سعة رحمة الله وفضله أن جعل الحج كله مواطن ذكر فالإحرام فيه ذكر وعرفة ذكر ومزدلفة ذكر ومنى ذكر والرمي ذكر والطواف ذكر والسعي ذكر وهو مادة الحج قال تعالى {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ}(البقرة الآية ٢٠٠) وكما قال تعالى {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ}(الحج الآية٢٨) . كل ذلك ليتحقق في النفوس أن طمأنينة القلوب وراحتها بذكره عز وجل كما قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}(الرعدالآية٢٨) ,فما أعظمها من

---

(١)الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ رقم الحديث١٣الجزء الأول ،ص١٢

نعمة حين يعتاد هذا اللسان على دوام ذكر الله عز وجل في كل حال من الأحوال كما قال تعالى{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ } فما قصد الحجيج مكة من جميع بقاع الأرض إلا حباً لربهم وأُنساً بعبادته وتلذذاً بالتعب في سبيل طاعته,فحريٌ بهم أن يأنسوا بذكره على جميع أحوالهم.

خامساً: التأني وترك العجلة:

فإن بعض الحجاج تراه يزاحم ويسابق ويدافع كأنه في سباق، وهذا ليس من البر، وبعض الحجاج يتعجل ولا يتأكد من معرفة حدود المشاعر، فتراه يجلس يوم عرفة خارج حدود عرفة وهو لا يشعر وهذا خطأ عظيم؛ لأن من فاته الوقوف بعرفة؛ بطل حجه، وكذلك لا يتأكد من حدود منى ومزدلفة، ولا يتأنى عند التقاط الجمرات، فيلتقط الحصى الكبيرة التي لا تجزئ.

والنبي صلى الله عليه وسلم حينما دفع يوم عرفة فسمع وراءه زجرا شديد وضربا للإبل، أشار بسوطه وقال: «أيها الناس، عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاح)[1] والإيضاح: هو الإسراع والعجلة.

سادساً: الخوف والرجاء :

ينبغي على الحاج أن يكون خائفاً راجياً، وهكذا كان سلف هذه الأمة، منهم من كان يغلب عليه الخوف، ومنهم من كان يغلب عليه الرجاء.قال مطرف: "اللهم لا ترد أهل الموقف من أجلي"[2]!وقال ابن المبارك لسفيان الثوري عشية عرفة: "من أسوأ هذا الجمع حالا؟"، قال: "الذي يظن أن الله لا يغفر لهم"![3]

وخلاصة هذا القول: فينبغي على الحاج أن يداوم على الطاعة لأن الاستمرار في العبادة دليل على قبولها، كما قيل: من شروط قبول الطاعة أن تعقبها طاعة أخرى، وعليه أن يتذكر عظمة ذكر الله تعالى في مثل هذا الموسم العظيم وأن يغتنم فرصته، لعلّ

---

(١)الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري رقم الحديث١٦٧١ الجزء الثاني ،ص ١٦٤

(٢)لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) الناشر: دار ابن حزم للطبعة والنشر الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ،ص٢٨٥

(٣)نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم : لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة : الرابعة الجزء العاشر ،ص ٤٦٧٠

الظروف أو العمر لا تواتيه مرة أخرى لحضور مثل هذا المشهد العظيم ، وعليه أن يستشعر سعة رحمة اللّه وفضله وعفوه وأن يحسن الظن بربه سبحانه وتعالى .

المبحث الرّابع

أخلاق الحاج مع الناس

أولاً : حسن الخلق :

وحسن الخلق يتضمن أمور ثلاثة هي: كف الأذى. وبذل الندى.وطلاقة الوجه.[١] و هذه الثلاثة متأكدة في حق الحاج، فينبغي أن يكف الحاج أذاه عن الناس سواء ما يتعلق بأموالهم، أو ما يتعلق بأنفسهم، أو ما يتعلق بأعراضهم.

ومن الأذى: التضييق على الحاج ومزاحمتهم ومدافعتهم والافتراش في طرقهم واستغلاله بأي وسيلة كانت.وأما بذل الندى: فهو الكرم والجود. والكرم ليس كما يظنه بعض الناس أنه بذل المال فقط؛ بل الكرم يكون في بذل النفس، وفي بذل الجاه، وفي بذل المال ، وفي بذل العلم[٢] قال النبي صلى اللّه عليه وسلم لعائشة رضي اللّه عنها في عمرتها :إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك)[٣] ومن حسن الخلق في الحج: العفو عن المسيء، وقبوله المعاذير، وترك الغضب، والرفق واللين، والحلم، وإدخال السرور على الحجاج، وقضاء حوائجهم، وغير ذلك من أوجه البر وصنائع المعروف.

ثانيا: الصبر :

من أخلاق الحاج خلق الصبر على الناس ؛ لأن الحج من أكثر العبادات التي تحتاج إلى صبر؛ لما فيه من الزحام واختلاف طبائع البشر وعاداتهم، وكذلك يحتاج الحاج إلى الصبر على طاعة اللّه، والصبر عن معصية اللّه، والصبر على أقدار اللّه، والصبر على مفارقة الأوطان والأهل والأحباب، قال تعالى: {وَاللَّـهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} آل عمران: ١٤٦].

ثالثاً: التواضع :

---

(١)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم باللّه البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م الجزء الثاني ،ص ٢٩٤

(٢)مكارم الأخلاق: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار الوطن الطبعة: الأولى، ص ٢٥

(٣)المستدرك على الصحيحين: أبو عبد اللّه الحاكم محمد بن عبد اللّه بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م رقم الحديث ١٧٣٣الجزء الأول ،ص٦٤٤

ومن أخلاق الحاج التواضع والحاج حينما يخلع ملبسه ويلبس إزارا ورداء؛ فإنه يعلن بذلك عن تواضعه وذله لله رب العالمين، كما قال صلى الله عليه وسلم:إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ ولا يبغي أحد على احد[١].

رابعا : تحقيق مبدأ المساواة :

إن مبدأ المساواة يتجلى واضحاً في الحج حيث يجتمع المسلمون من كل جنس ولغة ولون ووطن في صعيد واحد لباسهم واحد وعملهم واحد ومكانهم واحد ووقتهم واحد، وحدة في المشاعر ووحدة في الشعائر , وحدة في الهدف, ووحدة في العمل ,ووحدة في القول.

كما في حديث أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ "، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ[٢]

خامساً : تحقيق مبدأ الأخوة بين المؤمنين :

فحينما يقصد الحجاج من كل بلاد الدنيا مكاناً واحداً في وقت واحد على هيئة واحدة ويؤدون منسكاً واحداً تتحقق في النفوس أخوة الدين التي جمعتهم (إنما المؤمنون إخوة)(الحجرات الآية ١٠) ينادي كل أخ أخاه ويحاكيه متذكراً تلك الأخوة التي عاشها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتي كانت من أول الأعمال التي قام بها حين قدم المدينة مهاجراً فآخى بين المهاجرين والأنصار[٣] فتحقق بذلك أخوة الدين، وهي أقوى من أخوة النسب.

---

(١)الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧رقم الحديث ٤٣٨٩الجزء الثالث ،ص٣٥٠

(٢)شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م رقم الحديث٤٧٧٤الجزء السابع ،ص ١٣٢

(٣)السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م الجزء الأول ،ص٢٥١

سادساً : تحقيق مبدأ التعارف:

في الحج يتحقق ذلك المعنى الرفيع كما أخبر الله بذلك فقال تعالى (يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(الحجرات الآية١٣) وإن اختلفت اللغات والأوطان والمشارب فالتعارف من أكبر أسباب الألفة بين أهل الإسلام. وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف[١]

وخلاصة هذا :فما أجمل العفو عن المسئ ، وقبول المعاذير، وترك الغضب، والرفق واللين، والحلم، وتحقيق مبدأ الأخوة الإيمانية الصادقة ، و التواضع ، والتعارف والتآلف، حباً في الله تعالى ، ودفاعاً ونشراً لهذا الدين.

المبحث الخامس

أخلاق الحاج مع الكون حوله

فالمسلم يتربى على مبدأ خلق السلم والمسالمة، مع ماحوله من الكائنات،قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ)(المائدة الآية ٩٥) وقال تعالى:(أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا)(المائدة٩٦) وقد أجمع أهل العلم،على تحريم قتل صيد البر،واصطياده على المحرم ،فقد قال:عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون،لا يصطاد المحرم ولا يأمر بصيدٍ ولا يدل عليه، ولا يقتل من الدواب شيئاً إلا ما أرخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما في موطأ مالك عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أن رسول اللَّهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم، قَالَ: خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ: الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْحِدَأَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْغُرَابُ[٢]

وأما الكلب العقور فإن تأويله في رأينا: كل ما عدا على الناس من السباع الأسد والنمر والذئب وما أشبهه؛ ومما دلنا على ذلك أن الكلب الذي ليس بعقورٍ ليس في قتله

---

(١)الأدب المفرد:محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري،أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة:الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩رقم الحديث ٩٠٠،ص ٣٠٩

(٢) موطأ الإمام مالك - مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني – تحقيق - بشار عواد معروف - محمود خليل - مؤسسة الرسالة - ١٤١٢ هـ - الجزء الأول - رقم الحديث١١٨٥ - ص٤٦٦

جناحٌ على المحرم لأنه أنيسٌ أهلي، فكيف بالعقور منها، فعرفنا أنه إنما أراد ما عدا من الوحش، فذلك شبه الفواسق.[١]

وخلاصة هذا القول: الحج عبادة توقيفية الأصل فيها الإتباع ، فبالتالي يحرم على الإنسان فيها ما كان مباحاً عليه قبل إحرامه بحجه، من اصطياد صيد البر، كما أنه أحل له صيد البحر مادام محرما بحجه .

الخاتمة :

وفي الختام أسأل لله العلي القدير،أن يتقبل أعمالنا كلها، وأن يجعل حجنا مبروراً، وذنبنا مغفوراً، وسعينا مشكوراً،وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبة وسلم . وفي ختام هذا البحث أبرز النتائج والتوصيات التالية:

أولاً : النتائج :

١- الإخلاص لله تعالى في أداء هذه الفريضة.

٢- تجديد التوبة إلى الله تعالى ، ورد المظالم إلى أصحابها .

٣- المداومة على العبادة ، وتعويد النفس على الخشونة .

٤- التأني وترك العجلة .

٥- الخوف والرجاء اقتداءً بسلف هذه الأمة .

٦- حسن الخلق ، والصبر ،والتواضع فالحاج بحاجة أن يتخلق بهذه الأخلاق.

٧- الحج عبارة عن ورشة مكثفة للتدريب على الشحن الروحي والتعبئة على السلم.

٨- تحقيق الأخوة الإيمانية.

٩- تحقيق المساوات بين الناس.

١٠-تربية الضمير.

١١-التعارف،والتآلف.

١٢-تحقيق مبدأ السلم والمسالمة.

١٣-يعلمنا السعي لتحقيق السلام العالمي.

---

(١) كتاب الحج - عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون- تحقيق : ميكلوش موراني - دار ابن حزم – الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ - ص١٨٢

ثانياً : التوصيات :

أخي الحاج، إن حج بيت الله الحرام يستوجب الشكر ، ولعلِّي بعد شكر المولى عز وجل أطرح بين يديك هذه الوصايا ـ لمن أراد حجّ بيت الله الحرام،أو كان عائداً، من البقاع الطاهرة، والتي أسأل الله أن ينفعنا بها ـ:

١. على كل حاج استشعار الأهمية الأخلاقية والروحية للحج وأن يؤدي هذه الفريضة بنية خالصة لله عز وجل .
٢. الشكر لله على إتمام هذه الفريضة المباركة قال تعالى {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧].
٣. ليكن الحج نقطة تحوُّل وتغير في حياتنا {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١].
٤. على إدارة الحج والعمرة ، العمل على بث هذه الأخلاق والمقاصد ، فيمن يقصدون حج بيت الله الحرام .
٥. على كل حاج أن ينته أن الحج عبارة عن لقاء تدريبي كبير
٦. الناس ترجع من الحج بالهدايا ، والأصل أن نرجع بالهداية {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: ٦].

المصادر والمراجع

القرءان الكريم

١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت الجزء الثاني ص ٥٠٤
٢- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: أحمد الريسوني الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي الطبعة: الثانية - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م ص ٦
٣- علم المقاصد الشرعية: نور الدين بن مختار الخادمي الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.ص ١٦
٤- علم المقاصد الشرعية ص ١٦
٥- المرجع نفسه ص ١٧
٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م الجزء الأول ص ٣٠٣

٧- جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م الجزء الأول ص ٥٨٣ والمحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م الجزء الثاني ص ٤٨٢

٨- تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م الجزء الثالث ص ٢٥١

٩- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.الجزء الثاني ص ٣١

١٠- شرح كتاب الحج من صحيح مسلم مؤلف الأصل: الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير الجزء الأول ص ١٢

١١- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني : أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ) الناشر: دار الفكر الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م الجزء الأول ص ٣٥٠

١٢- شرح مسند أبي حنيفة : علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) المحقق: الشيخ خليل محيي الدين الميس الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ص ٣٢٩

١٣- شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى». : محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي الناشر: دار المعراج الدولية للنشر [جـ١ - ٥] دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ ٦ - ٤٠] الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ،١٩٩٦م الجزء السابع والثلاثون ص ٢٧٢

١٤- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م الجزء الثاني ص٢١٣

١٥- الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) الناشر: دار الحديث، القاهرة عام النشر: ١٤٢٣ هـ الجزء الأول ص ١٣٩

١٦- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م الجزء الأوّل ص ٨٨١

١٧- الأدب المفرد بالتعليقات: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م رقم الحديث ٢٧٠ ص١٤٢

١٨- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ الجزء العاشر ص ٨٦

١٩- الجامع في الحديث لابن وهب: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ) المحقق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين – القاهرة الناشر: دار ابن الجوزي – الرياض الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م رقم الحديث ٤٩٣ ص ٥٩٣

٢٠- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ الجزء السابع ص٤٦٨

٢١- جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م الجزء الثالث والعشرون ص٥٢٨

٢٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م رقم الحديث ٢٥٨١٣ الجزء الثالث والأربعون ص ١٥

٢٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون تاريخ طبع رقم الحديث ٢٥٥٣ الجزء الرابع ص١٩٨٠

٢٤- الجامع في الحديث لابن وهب: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ) المحقق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين – القاهرة الناشر: دار ابن الجوزي – الرياض الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م رقم الحديث ٤٨٣ص ٥٨٤

٢٥- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت بدون تاريخ طبع الجزء الثالث ص ٥٣

٢٦- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر: ١٩٨٤ هـ الجزء التاسع عشر ص ١٧١

٢٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت رقم الحديث٢٩٨٥الجزء الرابع ص٢٢٨٩

٢٨- سنن ابن ماجه : ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م رقم الحديث٢٨٩٠ الجزء الرابع ص١٣٨

٢٩- فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب: لمحمد نصر الدين محمد عويضة الجزء الخامس ص٩ و دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ - موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار : شحاتة محمد صقر الناشر: دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث، البحيرة (مصر) ص١٨٩

٣٠- مسند إسحاق بن راهويه : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (المتوفى: ٢٣٨هـ) المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤١٢ – ١٩٩١م رقم الحديث ٦٢٦ الجزء الثاني ص ١٤٠

٣١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ رقم الحديث١٣الجزء الأول ص١٢

٣٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري رقم الحديث١٦٧١ الجزء الثاني ص ١٦٤

٣٣- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) الناشر: دار ابن حزم للطبتعة والنشر الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ص٢٨٥

٣٤- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم : لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة : الرابعة الجزء العاشر ص ٤٦٧٠

٣٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي

الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م الجزء الثاني ص ٢٩٤

٣٦- مكارم الأخلاق: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار الوطن الطبعة: الأولى ص ٢٥

٣٧- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م رقم الحديث ١٧٣٣الجزء الأول ص٦٤٤

٣٨- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧رقم الحديث ٤٣٨٩الجزء الثالث ص٣٥٠

٣٩- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م رقم الحديث٤٧٧٤الجزء السابع ص ١٣٢

٤٠- السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م الجزء الأول ص٢٥١

٤١- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩رقم الحديث ٩٠٠ص ٣٠٩

٤٢- موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل الناشر: مؤسسة الرسالةسنة النشر: ١٤١٢ هـ رقم الحديث١١٨٥الجزء الأول ص٤٦٦

٤٣- كتاب الحج من كتب عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون: أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَأَبُو الأَصْبَغِ المَاجَشُوْنُ عَبْدُ العَزِيْزِ بنُ عَبْدِ اللهِ التَّيْمِيُّ ابْنِ أَبِي سَلَمَةَ مَيْمُوْنٍ - وَقِيْلَ: دِيْنَارٍ - التَّيْمِيُّ مَوْلاَهُم، المَدَنِيُّ (المتوفى: ١٦٤هـ)المحقق: ميكلوش موراني الناشر: دار ابن حزم [طبع مع كتاب الحج مما ليس في المدونة للعتبي] الطبعة: الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ص١٨٢.